الرسالة القوسية

لابن سبعين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم كثيراً دائماً

أصدق كلمة قالها القائل[1] : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » .

سألت أيها الصوفى السّنىّ السُّنّىّ السّيد السرىّ الذى سلك سبيل صَرْم التسويف وصرفه ، وملك نيل جزم التصريف وجذبه ، وخير خل خدينه فى التوجه فيه لله وحده ذلك منه وأبىّ ، وصير سر دينه عبد يقينه الإلهى الذى زَلّ وَكَبَا ، وفهم مسالك السور ومهالك الصور ، وخصص بالتقوى فى فصل العادة والعبادة ، وأسس بالتقرب أصل السيادة والسعادة ، وسارعَ فى الخيرات ولم يسارع فى الخيرات جوابا — سألت عن مدلول كلمات ملمه(؟) قدّرت صيغها عن خواصّ الخواصّ وسُطّرت قصصها بعد خلاص الخواص ، لفظوا بها بعد خفض جناح الذل نفس الحال المضار ، ورفض جناح الكل فى المضمار ، وقوة قلة الالتفات إلى خلفهم وأمامهم ، وزوال زلة الالتفات عن سلفهم وإمامهم ومنهم من أطلقها فى حال الصحو بالقصد الاشتراط بالضد ، ومنهم [١٢٦] من تكلّم بها مع أول حكم المحو والغيبة عن الاحتياط والرسم والحد ، ومنهم من لفظ بها على جهة الإلزام وقيد قوله ، ومنهم من أشار إليها ولم يحرك بها بقوله . وبالجملة هذه الكلمات المسئول عنها المشار إليها عند الصوفية فى الوجه الأول لازمة لأهل السلوك إذا لاح لهم بارق مقام الوصول فى الخلد ، ولأهل مقام الوصول إذا صرفوا الهمة إلى الهوية المحضة ، وعطفوا على الآنية المتوحدة ، ثم ربطوا القصد الأصلى والتوجه لمن هى آنيته وهويته واحدة ، مستحق كل آنية وهوية

---

(١) اى الشاعر لبيد .

متعددة بالإلزام ، ووجدوا الإضافة وصرفوا الضمير والإشارة بالعبارة وما أشبه ذلك تحت حد التلف ورسم السلف والمتكلم بها والمشير لمدلولها . وقد توجد من جميع الجهات فى هــذه المنزلة وحذف الوسائط كلها ، وذلك فيا هو إليه لا على ما هو عليه . وأهل التحقيق بخلاف ذلك وجميع من ذكر نقطة من بحرهم وذرة فى قفرهم وهو عندهم بمثابة السكران الذى يسكر من كاف اسم السكرم ، ويموه بالأمر العرضىّ وهو قد عدم الشأن الجوهرىّ ، ولا بأس بالاستغراق والشطحات والوله وإفراط الأحوال وتتبع التوحيد إذا جبر كَسْرُ عَظْمِ الاحترام ، وأعطى كل ذى حق حقه . ومن صحا وصحح أسراره محا الله إصراره . وكلُّ الكلمات المذكورة — أكرمك الله — التى سألت عن مدلولها تحت كلة متقدمة على جميعها بجميع أنحاء التقدم كتقدم المتكلم بها على المتكلم بالكلمات المذكورة حتى فى ترتيبها فى الكتاب وفى قوة الجواب . وأنا قد استخرت الله تعالى فى الكلام على مقصودك ، وما خاب من استخار ولا أدبر فى هزيمته من دَبَّر وفكر فى عزيمته . وأسأل الله العظيم أن يهب لنا الفهم فى مكنون ديننا ، وفك مُعَمَّى الذى طلب منا خليل خدينا ، ويعيننا على حمل أمانتنا وشكر سلامتنا ويرزقنا إيماناً نرجو به أماناً ، وإسلاماً يجلب لنا سلاماً ، وإخلاصاً يجر لنا خلاصاً ، ويبصرنا الحكمة ويجرد لنا أسماها وخصمها ورسمها ، ويفرج بنا هم الهمم التى كابدت الدهر حتى قصم منها الظهر ، ويقينا شرور الأعتياء ، ويجعل سريرتنا تشتغل بالزهد والطاعة ، وتبذل الجهد فى الاستطاعة ، ويحيينا حياه طيبة فى نفس مطمئنة فى حضرة فياضة تنادى محبوبها بحالها من حاله يا حبيب الحى حيا الحر حياه ، ومن استحيى من الله حياه . ومن شغف بتمحيص ما صدر من أحلام الأكابر بعبارته وفهمه ، وتخليص ما ظهر فى أحلام الأصاغر بعبارته ووهمه ، وبادر بالانتماء إلى خدمتهم ، والانحياز جهتهم ، والمباهاة بالاتصال إلى محامدهم النفيسة ، والبراعة فى الاتكال على مقاصدهم الرئيسة — ظفر بالحق وقطع كل الكون وأكل من كل لون وتوحَّد وجرَّد وشاهد الأمور العظيمة بعين آنيته الواردة عليه بعد الاستعداد وإفراط الانقياد ورفع الاستبداد وتجوهر بماهيتها وتطور فى مراتب أدوار آنيتها وزلزل قدم السلب والإيجاب [١٢٧] بعد وقته الذاتى وثبّت قدم الأدب والاكتئاب قبل موته الثانى ، وأحضر بعد حضوره فيه ومغيبه عنه وخروجه عنه ورجوعه له فى حضرة التمكين الفاضلة المحمولة على هويات الهمم الواصلة الموضوعة لآنيات الصور الحاصلة ، ثم يحضر فى الحضرة الحاضرة التى هماها غير مهموم وذمامها غير مذموم ، ثم يصرف

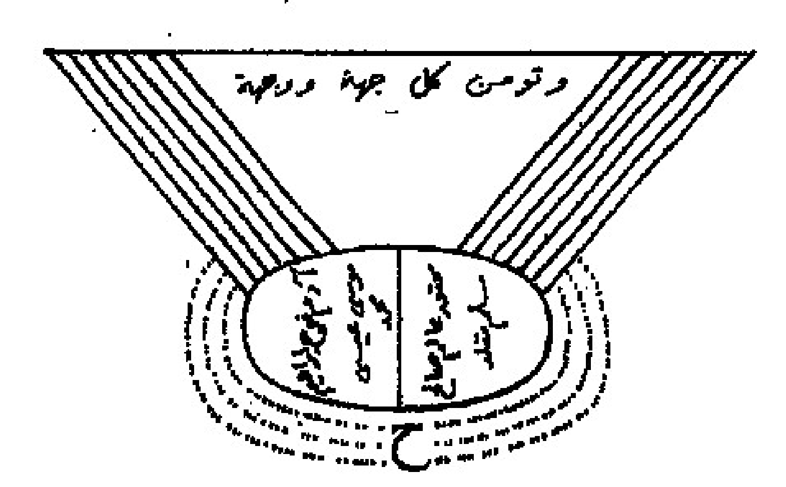
لسانه المضاف الذى يشار ويشار إليه ، ويعتقد ويعتمد عليه ، ويقرر عند ذلك ما تقدم . وحينئذ يبدأ بالذى بدأ به واللذة الأولى ، ويدخل فى عباد الله المخلصين ، ويفتح باب الحقائق ، ويضحك من حاله الأول ويخبر إذا أخبر عن نفسه لا عن الأول بالأول — فافهم — ويتوب من خطيئته المفقودة الواقع بعد السجود ، ويقرر عند ذلك على شأنه المتوسط بين الممكن المقدر والواجب المنفصل ، ويتنزه فى الجنة التى تحصل بشرط الأدب ويسكن فيها بإفراط المحافظة ويقيم فيها السعيد على خطر . وهو يلاحظ خطر شؤم شجرة موضوعة المضاف إليه بالمضار ، ويراقب حياة نفسها الثانية عن النفس النباتية ويتحفظ من محرك الشؤم فى الشجرة الملعونة أن تدخل صحبة الحية المذكورة ، ثم يتوجه إلى مقصوده بصناعة التركيب ثلاث مرات ، ويجوز على مقامات ثلاث ، ويشكر الله العظيم على قطع العلائق وما أنعم به عليه من معرفة ملكوت كون الخلائق وخلاص طبيعة نفسه المحمولة على موضوع حركة لواحق حسه من عالم الطبيعة وما بعدها ، ووصوله إلى علم الوحدة وحضرة التوحيد ، ومعرفة الواحد ويفتح باب الغاية ويدخل إلى حضرة النهاية التاسعة ويكلم المعلوم الممكن بكنهه ويشاهد المعروف الواجب بجوهره ويعلم أن العالم والعلم والمعلوم واحد ويعلم ما لم يكن يعلم ، ويفتح له باب الألوهية ويبصر الوسائل والدرجات الرفيعة ، ويراقب الرفيق الأعلى ويلبس ليس ويسلب أيس وبالعكس ، ويسمى نفسه بمدلول الأسماء الحسنى ويناديها به ويكثر من ذلك حتى يستجيب له الاسم الأعظم من مجموعها فيه — فافهم — ويدعو به ويملك فى الحين كلّ الكمالات الصديقية ، ويمكن من عالمها ويستخلف فى المنوطات كلها ويحكم على عالم السفر المرسلة ، ويتصرف فى رتب الحيل المنزلة ويشتغل بتدبير الضم ويمتحن بالحين والكم ، ويزيد على أبى يزيد [(١)] ويسال عن سيوف الشبلى والسرى [(٢)] ويشرف على شأن شيخ الشوذى ويقول لأهل القرن الثانى والثالث والرابع قد نسخ حكم مزية تحقيقكم وصيته فى السابع ويصح له تبعية والد شرفه الثالث التالى للأب الثانى والأول صلى الله عليه وعليهما وعلى ما بينه وبينهما من النبيين والمرسلين . وإذا كمل أمره وظهر

(١) أى أبى يزيد البسطامى ، راجع عنه كتابنا « شطحات الصوفية » ج ١ القاهرة ١٩٤٩ .

(٢) الشبلى هو الشبلى البغدادى ، والسرى هو السرى السقطى . (راجع عن الأول « الطبقات » للسلمى ص ٣٣٧ — ٣٤٨ ، « والحلية » ج ١٠ ص ٣٦٦ — ٣٧٥ ، و « صفة الصفوة » ج ٢ ص ٢٥٨ — ٢٦٠ ، وابن خلكان ج ١ ص ٢٢٥ ، وراجع عن السرى : « الطبقات » للسلمى ص ٤٨ — ٥٥ ، و « الحلية » ج ١٠ ص ١١٦ — ١٢٦ ، و « صفة الصفوة » ج ٢ ص ٢٠٩ — ٢١٨ ، وابن خلكان ج ١ ص ٢٠١) .

خيره واستقام سيره وسعا على جادة سيده بإ مونه وسيرته مذ حط المضمار من [١٢٨] سيد ساداتهما الأب الثالث إلى والدهم الأول المذكور قبل ، وجعل نفسه فى أول الخط[1] نقطة لا كالجزء منه كما هو رسمها عند أهل التعليم النبهاء ، و نفس والده الأول التى انتهى الخط عندها نقطة لا كالجزء منه بخلاف نقطته هو ثم نظر إلى أول الخط الذى بدأ من السيد ومرّ على السادات إلى السيّد ونظر إلى نفسه كما فرض فوجد الخط ينطوى بعضه على بعض ويرجع على نفسه ووجده مؤلفاً من النقط التى فرضها بالمعنى وأخرج نقطته عنها أدباً وقياساً ، ثم نظر إلى النقطة مفردة فألفاها مماثلة ونقطته المرسومة كذلك غير أنها خارجة عنهم من حيث المضمار المتقدم وداخلة معهم من حيث الأُبوّة والبنوة والمماثلة ، ثم عاد نظره فى النسب والأنواع والأجناس وما يلزم عنها ونظر إلى خواصّها ونظر فى معناها فى الخط المذكور ، ونظر فى لواحق كمالات الذين يمر عليهم الخط المذكور ، وحقق نظره فى مذاهبهم الإلهية وقطع أن الخط المذكور يتقوس بجهة ويمتد إلى غير نهاية بجهة أخرى ، وفرض فيه ظاهراً وباطناً وجعل فى ظاهره الاجتماع والتقويس ، وفى باطنه الافتراق والامتداد ، وكأنه فى التمثيل هذا الشكل المرسوم ، فتدبره ، وانظر إلى [وانظر إلى] الخطوط الموضوعة على باطنه الأعلى المتوازية المشار إليها بالمواهب الإلهية المفاضة على أربابها بحسب الأسماء الموضوعة لنا وانظر إلى ظاهره وإلى نقطته المتوهمة فى طرفيه ، ثم انظر إلى تقويسها وقل الجنس يجمع بالضرورة ، والفصل يعرف بالذات ، ثم قل النوع يجمع بالطبع ، والأعراض تفرق فى وقت ما ، ثم قل النسب تجمع والخواص تفرق بوجه لازم . فافهم واحفظ ماهية سعادتك بالتقويس وبعدها التقويس والله الموفق .

تمت « القوسية » بحمد الله وحسن عونه والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده .



---

(١) ص : الخبط .